مجمع فـــؤاد الأول
بين الأمس واليـــوم

للأستاذ محمود أحمد الغمراوى

مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حسنة من حسنات محيى النهضة العلمية والفنية ، ومجدد شباب اللغة العربية ، المغفور له الملك فؤاد ، له من الله الرحمة والرضوان ، وهو أثر من آثار أياديه الكريمة ، ومأثرة من مآثره العظمى التى أسداها إلى اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، ومفتاح أسراره ، ومشرق هدايته ، ومطلع أنواره .

أراد رحمه الله بإنشاء مجمع اللغة العربية المحافظة على سلامة هذه اللغة الكريمة ، وأن يكون المجمع مثابة للمروبة تتجدد فيه عناصرها وتتوثق أواصرها ، وأن يكون أمنا للغة الذكر الحكيم يجمع شتاتها ويحمى مواتها ويحميها من عبث العابثين ، وجور المعتدين ؛ ويدفع عنها طغيان العجمة ويرد عنها وثبات العامية ، حتى لا تستهلكها أشتات اللهجات ، ولا تذهب بفصاحتها وصباحتها الندوب والآفات ، فندب إلى هذا الغرض السامى النبيل ، واختار لهذا المهم الجليل ، كل عالم ندب من علماء اللسان ، وفرسان اللغة والبيان ممن أنجبتهم معاهد العلم : الأزهر ودار العلوم وجامع الزيتونة ، ومن أنبتتهم المدارس الإسلامية ومدارس اللغات الشرقية فى بلاد الشرق والمغرب .

ولقد بذل هؤلاء الأفاضل الأعلام جهدا مذكوراً ، وسعوا إلى تحقيق الغرض الذى ندبوا له سعيا مشكوراً . وجعلوا منذ اللحظة الأولى يمهدون السبيل ، ويقيمون فيه لمن يريد أن يسلكه المنار والدليل ، حتى لا يخبط فى مسيره خبط العشواء ، ولا يهيم فى أودية الأوهام ؛ فوسموا من القواعد وأقروا أمورا تكفل مراعاتها سلامة اللغة وتحقق لها النماء والزيادة ، وتيسر على أهل العلم التصرف فى مفرداتها حتى تستغنى بما تنسله من لفظ أصيل كريم عما يراد إلصاقه بها من كل لفظ دخيل زنيم .

وقد أشار رئيس المجمع المغفور له الدكتور محمد توفيق رفعت باشا فى كلمته التى ألقاها فى افتتاح دور الانعقاد الثالث سنة ١٩٣٧ إلى الطريقة المثلى ، وأومأ إلى بعض القرارات التى اتخذها المجمع فى دور انعقاده الثانى للوصول إلى تحقيق الغرض المقصود من إنشاء المجمع ، وأبان فى تلك الكلمة المنشورة فى الجزء الثالث من مجلة المجمع طبع سنة ١٩٣٧ — خطأ الذين يؤثرون الاعجمى الشائع على عالم يتداول فى الاستعمال من فصيح اللفظ العربى ، وفند هذا الرأى الفائل إذ يقول : وليس يذهب عنا فى هذا المقام أن ننبه هؤلاء إلى أن لغتنا قد تخلفت دهرا طويلا عن مواتاة العلوم ومسايرة كثير من أسباب الحضارة . فلو أننا آثرنا الاعجمى الدائر فى كل ما يعرض لنا من هذا لأصبح الفصيح بين لغتنا أقل من القلة ولاستهلكته العجمة استهلاكا بحيث لا يصح لنا وقتئذ أن نزعم أننا نتحدث بلسان العرب ، وذلك هو البلاء العظيم ... ومما ينبغى ألا يسقط من الحساب أنه لو ساغ لكل أمة أن تعدل عن اتخاذ الفصيح من لغتها لمثل تلكم الأسباب إلى الشائع على السنة أبنائها من المحرف والدخيل لاختلفت لغات الأمم العربية وما اجتمعت على هذه اللغة الكريمة ، وهذا فى الوقت الذى يدعو فيه المصلحون الصادقون إلى توحيد الثقافة فى العالم العربى بأسره بحيث إذا استقلت كل أمة بأرض وطنها فإن العربية تظل لها جميعها الوطن العام على تطاول الأزمان .

وفى كلمة العلامة المستشرق (الاستاذ جب) عضو المجمع — وصف للعلاج الناجع الذى يتوقف عليه نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى حيث يقول . وإن تجاربنا فى سنتى الطفولة (يقصد تجارب المجمع فى السنتين اللتين مرتا عليه منذ أنشىء) — قد برهنت على أن نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى يتوقف على استعدادنا لسلوك طريق طويل الذى دارس العالم — طريق الاكتشاف والتوسع وهو طريق لا يسلك إلا بشىء من الجرأة ، ولا يسلم من الضلالة فيه إلا من استعدله بكامل العدد .

ويقول : ولن يتحقق سمو وظيفة المجمع فى القرن بين تيار الجديد وتراث القديم إلا من جربها ، فويل للغة مصادرها

ومعجماتها دون الشعور الحي للناطقين بها . وويل أيضاً للغة ينطق ويكتب الناطقون بها طوع أهوائهم ويضربون بمعجماتها عرض الأفق .

فإذا كانت التجارب قد دلت على أن نجاح المجمع في تأدية وظيفته نحو العالم العربي متوقف (كما يقول الأستاذ جب) على الاستعداد بكامل العدد لسلوك طريق الاكتشاف والتوسع في اللغة حتى يأمن سالكو هذا الطريق من التردي والضلالة فيه ، وإذا كان من أهم هذه العدد العلم بقواعد اللغة نحوها وتصريف كلماتها ومعرفة أحوال تراكيبها وتذوق أساليبها ومعاني النظم فيها ، والإحساس بما بين نظم ونظم من فرق وتفاوت في الحسن والجمال والصحة والاعتلال — فهل فكر أولئك الكرام البررة الذين عناهم أمر هذه اللغة الكريمة في إعداد الوسائل التي تكفل حياتها وإن تبق سليمة نامية ، وهل أخذوا لهذا الأمر أهبته ، وأعدوا له عدته ؟

لقد أنبأنا الأستاذ الجليل محمد كرد علي بك في كلمته التي ألقاها في افتتاح إنعقاد المجمع في ذلك الدور أن مجمع اللغة العربية يسير في أوضاعه على النهج الذي سنه الملك الأعظم (المغفور له) الملك فؤاد ، وأنه (أعلى الله في الجنة منزلته) تفضل فأطلع عليه الأستاذ حين شرفه بالمثول بين يديه من نحو عشر سنين خلت قبل إنشائه مجمع اللغة . والمتتبع لسير النهضة العلمية في ذلك الوقت يجد أن ذلك التاريخ يوافق الوقت الذي كان فيه جلالة الملك الراحل يفكر في التوحيد بين المعاهد التي تقوم بتعليم اللغة العربية والشريعة الإسلامية في مصر ليكون من هذه المعاهد مجموعة مؤتلفة موحدة النظام والغاية مندمجة في الأزهر ، يتخرج منها الفقهاء المشرعون والعلماء الراسخون في علوم الشريعة واللغة ليجددوا ما اخلولق من آثارها ويحيوا ماعفا من رسومها وليكون من هؤلاء العلماء المختصين باللغة والشريعة مدد يغذي مجمع اللغة العربية ومايفشأ على غراره من مجامع الفقه والتشريع الإسلامي لا الروماني والفرنسي ، وفي سبيل تحقيق هذا الغرض الجليل ألغيت مدرسة القضاء الشرعي وبدئ في إلغاء دار العلوم ، واستبدل بهما نظام الكليات وأقسام التخصص في الأزهر . فترى أن مجمع فؤاد كان جزءا متمما لذلك المشروع الجليل الذي اختط فؤاد العظيم خطته وأراد منه إحياء اللغة العربية لغة القرآن الفصحى وأن يبعث الاجتهاد في الفقه الإسلامي من مرقده لتتوثق باللغة روابط الوحدة بين الشعوب العربية ، وتسهل مشارع الشريعة فيتيسر ورودها ، ويصفو وردها لجميع الأمم الإسلامية.

ذلكم هو المشروع الذي ابتكره فؤاد الملك العظيم ، وأبرزته عزيمته القوية الجبارة من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ، لاحياء اللغة العربية والشريعة الاسلامية معا ؛ فماذا كان حظ هذه المؤسسات العلمية والعالية من الحياة ، وماذا كان نصيبها من البقاء ؟

فأما أقسام التخصص فقد غلقت أبوابها ، إذ لم يقصدها للعلم بل لأكل العيش طلابها . وأما كليات الأزهر فقد أمست مسارح شحناء ، ومسابح دماء ، يسعى طلابها بالفساد ليجعلوها مثل دار العلوم مدرسة لتخريج معلمين ، لا لتكوين رجال عالمين !

ومجمع فؤاد اللغوي — وقد عرفت مكانه من المشروع العظيم — هل تراه اليوم على العهد الذي كان عليه بالأمس مجمع فؤاد للغة العربية ، وهل تحسبه آخذاً بأخذه ، أو متبعاً سننه الذي سنه له منشئه ، أو سائراً على النهج الذي قرر رجال مجمع اللغة العربية بالأمس أنه هو النهج الأقوم الموصل إلى الغاية المنشودة من إنشاء المجمع ؟

إن الذين سمعوا كلمة معالي وزير المعارف التي ألقاها في مؤتمر المجمع في دور انعقاده الحاضر في أولى جلساته في الشهر المنصرم ، يرون فيها خروجاً على إجماع المجمع بالأمس ، وإهداراً للقواعد السليمة التي أقرها ، وتوجيها للمجمع في غير الوجهة التي أنشيء من أجلها ، وجوارباً عن سواء السبيل الذي يقول العلماء الخبيرون إنه يجب على من يريد للغة العربية الحياة والبقاء والبركة والنماء أن يسلكه .

معالي الوزير يدعو المجمع دعوة صريحة بل إنه ليأمره بأن يقف في طريقه إلى تحقيق مهمته عند اللغة الرسمية (اللغة العربية الصحيحة) وأن يتجاوزها إلى اللغة الواقعية البعيدة عن صحيح اللغة (وهي اللغة العامية) وأن يتقبل كل كلمة ترد إليه هجين

أو أعجمية ؛ ولئن كانت كلمة المجمع بالأمس على أن العدول من اتخاذ الفصيح من اللغة إلى الشائع على الألسنة من المحرف والدخيل يستهلك الفصيح من اللغة ، ويؤدى إلى اختلاف لغات الأمم العربية وتفرقها عن لغتها الكريمة — فإن كلمة وزير المعارف اليوم على النقيض من كلمة المجمع بالأمس ؛ فماليه يفتح الباب على مصراعيه للمحرف والدخيل ، ويطلب إلى المجمع أن يسجل على لغة العرب كل مايرد عليه من الكلمات المحرفة ، وأن يحمل عليها كل مايصل إليه على ألسنة العامة من الألفاظ الأعجمية والدخيلة ؛ فقد أصبحت مهمة المجمع إذن سهلة يسيرة وأمسى عمل المجمع فى نظر معالى الوزير هو الإثبات والتسجيل ، وليس له فى الإبتداع أو الخلق والتقدير .

لقد هانت إذن مهمة المجمع ، وتبخرت فى الهواء تجارب المجربين ، وضرب بعرض الأفق كلام الخبراء العالمين ، وأمنا ما خوفنا الأستاذ جب من ضلالة الطريق ووعورته ، فما بنا بعد اليوم من حاجة فى سلوكه إلى استعداد له بعدة أو اتخاذ دليل أو اصطحاب رفيق . يقول معالى الوزير : إن باب الاجتهاد فى اللغة العربية مفتوح فعلا فهو ليس منتظراً أحدا حتى يفتحه . فليت شعرى من هم هؤلاء المجتهدون الذين يقول معاليه إن باب الاجتهاد قد فتح فعلا لهم ؟ أهم أولئك العلماء الذين استعدوا بكامل العدد ليأمنوا من الضلالة فى طريق الاكتشاف والتوسع فى اللغة ، وأولئك الكتاب والناطقون باللغة ، الذين يلتزمون قوانين اللغة وقواعدها ويرجعون إلى معجماتها فيما يكتبون وينطقون كما يشترط الأستاذ جب ؟ أم هم هؤلاء الذين ينطقون ويكتبون طوع أهوائهم ولا يستطيعون تقديم ألسنتهم ، والذين أنذر الأستاذ اللغة شرهم وتوعدها بالهلاك والويل منهم ؟

يقول معالى الوزير إننا لا نستطيع أن ننكر على أى جيل حقه فى أن يساهم فى صنع لغته وفى أن يبتدع من الألفاظ ما يفى حاجته ويتمشى مع حضارته

فالمجتهدون فى اللغة إذاً فى عرف وزير المعارف — هم أولئك الذين يتقبلون كل مايفد عليهم من دخيل اللفظ ، وتلوك ألسنتهم كل ما يسهل عليها من عابر القول من غير معيار ولا قاعدة .

هؤلاء هم المجتهدون فى اللغة المعارفون ، وهؤلاء هم صنعة اللغة الحاذقون ، ومبتكرو ألفاظها ونظمها والمبتدعون ، وما يصدر عن هؤلاء من عابر القول ، وما يتقبلونه مما يفد عليهم من متشرد الألفاظ الأعجمية فهو اللغة الفصحى التى اجتمعت عليها الأمة ، والتى يجب على المجمع القائم أن يرصدها فى سجلاته ويسجلها فى اجتماعاته لحساب اللغة الجديدة الاقليمية ، التى يراد إحلالها محل اللغة العربية ، وتسجيلها بيردها وتسميتها باسمها .

لقد اتضحت إذاً مهمة المجمع وعرف أن مهمته المطلوبة منه فى عهده الجديد هى أن يسجل فى دفاتره ما يرد إليه من بضاعة مزجاة من الألفاظ الأعجمية ، ويضيفها لحساب اللغة الجديدة الإقليمية الدهماوية التى يراد بها إبعاد الأمة المصرية وإبعاد العرب عن لغتهم العربية التى هى رباط وحدتهم ، ومنتدى جماعتهم .

ومهمة أخرى على المجمع أن يقوم بها ، وهى كما وصفها معالى الوزير مهمة شاقة عسيرة ، تلك المهمة هى أن ينصب المجمع للمولود الجديد الأنصاب ويتلمس له العلل والأسباب التى تصله بأسباب الوجود ، وتكفل (لا قدر الله) له الحياة والخلود .

منذ أمد غير بعيد نشرت جريدة الأهرام نبذة لمراسلها الخاص بلندن اقتبسها من الفصل الافتتاحى الذى عقدته جريدة المانشستر جارديان عن إصلاح النحو فى مصر ، تضمنت هذه النبذة أن أدباء مصر يتوفرون على إصلاح النحو العربى . وقالت (بلغة المستعمرين الذين يسمون الأشياء بأسماء أضدادها فيسمون الإفساد إصلاحاً واستعباد الأمم حرية) ! قالت : إن هذا الإصلاح قد يكون بين ضروب الرق العديدة (التى تمت منذ ولى الملك فاروق العرش) — أبعدها أثراً على الإطلاق . وقالت : إن من العوائق العظيمة لنشر العلم ومن ثم لتحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى هو الاختلاف الكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية مما جعل ملايين من الناطقين بالضاد لا يستطيعون فهم اللغة الفصحى فضلا عن قراءتها وكتابتها .

فاللغة العربية فى نظر المانشستر جارديان ، ومن ينفخ فى بوقها من دعاة الاستعمار هى سبب انحطاط العرب وتأخرهم فى العلم وفى التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى . وهذا الذى تذيعه